دفاتر فارس يواكيم: فيلمون وهبي... الفطرة الموسيقية وذكريات كفرشيما والمخابرات السورية

نجوم وفن فارس يواكيم

13 مايو 2019



اعتُمِد مغنياً في الإذاعة اللبنانية سنة 1937 (تويتر)



بين المسرح والإذاعة والموسيقى، قضى فارس يواكيم (1945 ـ مصر)، عقوداً من حياته مواكباً ومؤرّخاً ومشاركاً في أبرز محطات المشهد الفني العربي في القرن الماضي، وشاهداً على التحوّلات التي شهدها عالم الفنّ.

تنشر "العربي الجديد" كل يوم إثنين مذكّرات يواكيم مع أبرز الفنانين والمنتجين والمخرجين

العواصم.

فيلمون وهبي فنان ثلاثي الأبعاد: ملحن، وممثل، وصاحب أغانٍ نقدية ساخرة. من هزلياته الغنائية الشهيرة التي نظمها ولحّنها وغنّاها: "سنفرلو ع السانفريان"، و"كشوا الدجاج من قدام البيت"، و"بسيطة"، و"عندك بستان يا سعدى" التي غنتها صباح أيضاً. ومن أدواره الشهيرة: شخصية سبع في الدويتو مع منصور الرحباني "سبع ومخول"، وقد أنتج العديد من هذه الاسكتشات في حلقات إذاعية وتلفزيونية. كما تألق فيلمون وهبي الممثل الكوميدي في مسرحيات الأخوين رحباني، وفي بعض مسرحيات قامت ببطولتها صباح.

أما ألحانه فهي البعد الأول، عرفت النجاح ونالت الإعجاب منذ إذاعتها لأول مرة. ألحانه أدّاها أشهر نجوم الغناء. أذكر على سبيل المثال: "يا أمي طلّ من الطاقة" (صباح)، و"برهوم حاكيني" (نجاح سلام)، "بتروح لك مشوار" (وديع الصافي)، و"يا هلا بالضيف" (سميرة توفيق)، و"هدّوني هدّوني" (نصري شمس الدين). وباقة كبيرة من أغاني فيروز، منها: "جايبلي سلام"، و"يا دارة دوري فينا"، و"ليلية بترجع يا ليل"، و"يا مرسال المراسيل".



إنجازات فيلمون وهبي الفنيّة معروفة لدى الجميع، لذلك سأتطرق إلى البعد الرابع، إلى فيلمون الإنسان. رب العائلة، والأب الطيب، الذي تزوّج من جانيت خوري سنة 1946 وكانت مغنية واسمها الفني تغريد الصغيرة، وأنجبا أربعة: البكر اسمه عماد، والثاني يدعى سعيد، على اسم أبي فيلمون، وآخر العنقود اسمه ربيع. والابنة الوحيدة اسمها ألحان. واسمها الكامل: ألحان فيلمون وهبي.

فيلمون العصامي، الذي لم تسنح له الفرصة لدراسة الموسيقى في كونسرفاتوار، ولم يتعلم كتابة النوتة الموسيقية، عوّض ذلك بفضل موهبته الفطرية الفيّاضة التي جعلته يبدع الألحان الجميلة السهلة، التي يستوعبها الجمهور من أول استماع ولا يلبث أن يرددها. كان يعزف على آلة العود لكنه لم يكن محسوباً في قائمة عازفي العود البارعين. كان يلحن بالدندنة وبنقر أصابعه على الطاولة وحين يولد اللحن يعزفه على العود ويسجّله. كان أولاده قد اشتروا له آلة تسجيل ودرّبوه على استخدامها، لكنه كثيراً ما كان يستنجد بهم طلباً للعون التقني! كان يسلّم اللحن إلى الأخوين رحباني وهما يقومان بمهمة تدوين النوتة والتوزيع الموسيقي. ومثل هذه المهمة قام بها آخرون ومنهم سليم سحاب، عندما لحّن فيلمون وهبي لفيروز مجموعة من الأغاني خارج الإطار الرحباني وكانت من نظم جوزف حرب، ومنها "ورقه الأصفر"، و"طلع لي البكي"، و"أسوارة العروس".

وفيلمون هو الملحن الذي بدأ حياته المهنية منشداً. اعتُمِد مغنياً في الإذاعة اللبنانية سنة 1937 وهو في التاسعة عشرة من عمره (مواليد 1918) وفي السنة ذاتها سافر إلى فلسطين وكان يغني في ملاهٍ ومسارح فلسطينية ويمشي على الأقدام إلى يافا ليسجل أغانيه في إذاعة الشرق الأدنى.
وبعد سنوات شعر بأن طريق الغناء وعرٌ في وجود نجوم كبار من وزن محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش، وأدرك أن درب التلحين أسهل وأرحب خصوصاً وهو يملك الموهبة. وكانت أغنية "على مهلك يا مسافر" باكورة ألحانه. ومن ألحانه المبكرة أغنية "يا با قلبي ما ادري إيش بي" التي أنشدتها

وضعوا أسس الأغنية اللبنانية الحديثة مع الأخوين رحباني وزكي ناصيف وتوفيق الباشا وحليم الرومي.

في حياته كما في ألحانه ظلّ فيلمون وهبي ابن كفرشيما، البلدة التي ولد وعاش عمره فيها. كفرشيما التي أنجبت العديد من الأدباء والفنانين، منهم: ناصيف اليازجي وولده إبراهيم، وآل تقلا مؤسسو جريدة " الأهرام" ا لقاهرية، و المفكر شبلي ا لشميل، و الشاعر ا لمهجري إ لياس فرحات، و الشاعر والصحافي جورج رجي، وملحم بركات، وعصام رجي وماري سليمان، وفيها عاش حليم الرومي وولدت وترعرعت ابنته ماجدة.



ومن بلدة كفرشيما صديق لفيلمون وهبي اسمه أبو نمر يملك محطة بنزين. أتذكّره الآن لأنه في بعد ظهر ذات يوم في صيف 1976 كنت أحتسي القهوة مع "أبو عماد" في صالون "فندق الشرق ـ أوريانت بالاس،" مقر إقامتنا آنذاك في دمشق، أطلّ أبو نمر مستعجلاً وطلب من فيلمون وهبي أن يلحق به بسرعة بحجة أنه ركن سيارته في مكان ممنوع الوقوف فيه.
وما كان من فيلمون إلا أن لبّى النداء وأسرع خارجاً مع "أبو نمر". وبعد سهرة طويلة عدت في أواخر الليل إلى الفندق فوجدت زوجة فيلمون وابنته ألحان ساهرتين جالستين في الصالون حزينتين باكيتين قلقتين بسبب اختفاء فيلمون وقد سألتا عنه الأصدقاء والمخافر والمستشفيات ولم يعثر عليه أحد. قلت: رأيته ذهب مع أبو نمر. فهتفت زوجته وقد تنفّست الصعداء "إذاً هو راح إلى الصيد". وارتاحت الزوجة والابنة وذهبتا إلى غرفتهما. وفعلاً كان فيلمون وهبي قد رافق أبو نمر في رحلة صيد وعاد مع بزوغ فجر اليوم التالي. ومن شدة إلحاح أبو نمر نسي أبو عماد أن يخبر أهله عن مشروع الصيد.

كان الصيد شغفاً كما كان التلحين والأداء التمثيلي. وهو اعتاد منذ مطلع خمسينيات القرن الماضي أن يقوم برحلات الصيد إلى سورية. وكان يحب سورية البلد والناس. وذات مرة سمعتُ بعض الألسنة الخبيثة تلوك شائعة سخيفة مفادها بأن فيلمون وهبي هو رجل المخابرات السورية، بدرجة عميل أو متعامل. واستشطت غضباً لأني أعرف الرجل على حقيقته. كنت في الفندق نفسه شاهداً على زيارات قام بها مسؤولون سوريون، عسكريون ومدنيون، إلى فيلمون وهبي. أسماء معروفة جيداً لدى اللبنانيين لأنها كانت ترد في نشرات الأخبار آنذاك. هم الذين كانوا يأتون لزيارته يستمتعون بمجلسه اللطيف الحافل بالسخريات والطرائف ويستمعون إلى ما جدّ لديه من ألحان. ولم يكن للسياسة دخل في هذه السهرات. وهو لم يسعَ في يوم إلى التقرّب من أحد.

دفاتر فارس يواكيم: فطين عبد الوهاب… أمير أفلام الكوميديا

وقفت رداً على الشائعات البائخة. فيلمون وهبي يتردد على سورية لأجل الصيد من أيام حسني الزعيم. وبعد سقوط عهد الزعيم عرفت سورية من الحكام: سامي الحناوي، وفوزي سلو، وأديب الشيشكلي، وشكري القوتلي، وجمال عبد الناصر أيام الوحدة ورجل سورية القوي في عهده عبد الحميد السراج، ثم وقوع الانفصال وعهد مأمون الكزبري ومعروف الدواليبي، ثم مجيء حزب "البعث" إلى السلطة بتنويعاته المتخاصمة المختلفة من أمين الحافظ ومحمد عمران، وبروز ميشيل عفلق وأكرم الحوراني وصلاح البيطار، مروراً بنور الدين الأتاسي ويوسف زعيّن وصلاح جديد، إلى حين إمساك حافظ الأسد بزمام السلطة. توالى حكام وأنظمة وعهود، وظل فيلمون وهبي يتردد على سورية بانتظام. زال الرجال عن العروش وبقي فيلمون وهبي ضيف الشام الدائم. ولو كان عميلاً لأحد هذه الأنظمة لكان النظام التالي اعتبره من أزلام العهد البائد ولكان عاقبه بعنف وربما قصف عمره. كان فيلمون وهبي يحب سورية والشعب السوري، ومن وفائه ظلّ محبّاً.

وما سبق لا يمنع أن الرجل كان صاحب آراء سياسية. لكنها كانت لبنانية محلية. وقربي من فيلمون وهبي سمح لي بأن أعرف ميوله. هو كان من أنصار الرئيس فؤاد شهاب، معجباً بنزاهته، ومقرباً من الدائرة المحيطة بالرئيس، ومنها الياس سركيس الذي أصبح لاحقاً رئيساً للجمهورية (1976 – 1982). كان فيلمون وهبي مقتنعاً بأن النهج الشهابي هو الأفضل لحكم لبنان. لكن هذه القناعة لم تأخذه إلى الانغماس في العمل السياسي. ولم يطلب من الأصدقاء وهم في موقع السلطة أيّ خدمة.
وحدث أنه في 30 ديسمبر/ كانون الأول 1961 جرت محاولة انقلاب عسكري لإطاحة حكم الرئيس فؤاد شهاب قادها ضباط ينتمون إلى الحزب القومي السوري الاجتماعي. لكن المحاولة لم تنجح. فنشط جهاز المخابرات المعروف بالمكتب الثاني وتم إلقاء القبض على عسكريين ومدنيين من المنتسبين إلى الحزب القومي السوري بينهم قيادات وكوادر حزبية عليا وأودعوا السجن. وفي تلك الأيام بلغت أنباء المداهمات والاعتقالات مسامع فيلمون وهبي، وكانت أسماء بعض الفنانين ضمن قائمة المطلوب اعتقالهم. فما كان من فيلمون إلا أن توجه ليلاً إلى منزلي الملحنَيْن زكي ناصيف وتوفيق الباشا، وهما حزبيان، ونصح لهما بالتواري عن الأنظار تفادياً للاعتقال. طغى الالتزام الإنساني على الميول السياسية، وحرص فيلمون وهبي على إنقاذ صديقين قديمين تربطه بهما أواصر الزمالة المهنية أيضاً. وقد سمعت تفاصيل ذلك من زكي ناصيف ومن توفيق الباشا. ولاحقاً لم يتم اعتقالهما لأنهما برغم الالتزام الحزبي لم يشتركا في محاولة الانقلاب.



وإذا استكملنا استعراض ملامح شخصية فيلمون وهبي فلا يمكن تجنب الإشارة إلى ظرفه، وسرعة البديهة لديه، وحضور النكتة والتعبير الساخر. ذات مرة استاءت إحدى الأمهات في كفرشيما من مشاغبة ولدها الصغير فعاقبته بأن ربطته إلى سور الحديقة المنخفض. وتصادف بعدها أن مرّ فيلمون وهبي بذلك المنزل فاستنجد به الطفل وقال "عمو أبو عماد.. فكّ الحبل الله يرضى عليك"، فأشفق فيلمون على الطفل وحلّ وثاقه ومضى. واندهلت الأم حين رأت طفلها يركض مطلق السراح، وعلمت أن الذي فكّ الحبل هو الفنان الشهير والتقته في ساحة البلدة وعاتبته قائلة: "ولو يا أبو عماد! هيك بتفك حبل الصبي؟!" فعلق قائلاً: "أنا بفكّ مشانيق ما بدك ياني فكّ صبي".

من سيدات الطبقة المخملية. وانهالت على فيلمون بعبارات المديح باللغة الفرنسية مبدية إعجابها بتمثيله وأغانيه، وهو يرد عليها باقتضاب لكن باللهجة اللبنانية. وهي استرسلت بالفرنسية وهو عمداً يجيبها بالعربية وباختصار شديد. ثم أطلقت عبارة الوداع وكانت طويلة، وإذ مدت يدها للسلام عليه مدّ يده ونطق بالفرنسية بكلمة واحدة قائلاً "فريجيدير"! ذهلت السيدة من هذا التعليق أما أنا فضحكت طويلا وجرفتني القهقهات بعيداً.

ولكي يبدد فيلمون وهبي ذهول السيدة أطلق عليها مجموعة من الكلمات الفرنسية غير المترابطة من نوع "بونجور"، "أورفوار"، "أنشانتيه"، "ميرسي" ومضى وهو يتمتم بالعربية كلمات غير مفهومة لكن تعابير وجهه كانت تنمّ عن الاستياء.
الفنان الذي أطرب الناس بألحانه وزرع البسمات في وجوههم بطرائفه، عاش الأشهر الأخيرة من عمره في حزن وهو يصارع الداء الخبيث، إلى أن توفي يوم الخامس من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1985 عن عمر ناهز السابعة والستين.

دفاتر فارس يواكيم: عبد الوهاب وفوبيا الطائرات وذكريات أخرى

مواد الملف

منوعات
دفاتر فارس يواكيم: صباح... الشحرورة والأسطورة

منوعات
دفاتر فارس يواكيم: محمود المليجي... "شرّير الشاشة"

منوعات
دفاتر فارس يواكيم: نزار قباني... جمهوره بالآلاف يثير الحسد

منوعات
دفاتر فارس يواكيم: يوسف وهبي...استدرج الدموع وبرع في الضحك

منوعات
دفاتر فارس يواكيم: لورنس هارفي... اللغز الإيطالي في بيروت

منوعات
دفاتر فارس يواكيم: الأخوان رحباني... رحلة الأغاني الجميلة

دفاتر فارس يواكيم: محمد كريم....مخرج أول فيلم عربي ناطق

دفاتر فارس يواكيم: فريد الأطرش... لحّن وعاش "ليالي الأنس"

منوعات

دفاتر فارس يواكيم: نجيب محفوظ... إيقاع حياة منتظم

المزيد

دلالات

مصر لبنان فن

الأكثر مشاهدة

1 رواية إسرائيلية لاشتباك بين فرقة "إيغوز" وقوة "الرضوان" من مسافة صفر

2 ميتا تستنفر لمواجهة المثلث الأحمر المقلوب

3 استهداف منظومة الإنذار جنوبي سورية: تحضير لتوسيع الحرب الإسرائيلية؟

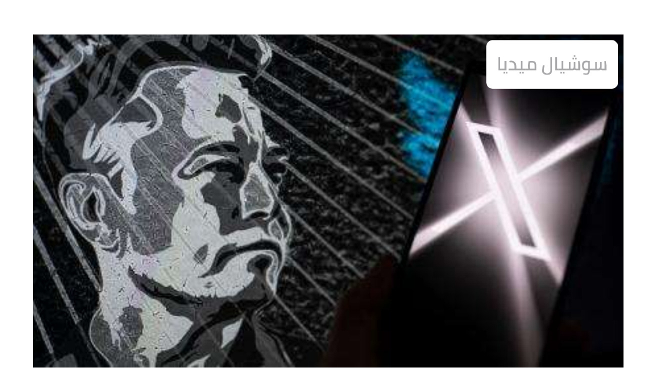
المزيد في منوعات



دعوات لمقاطعة "الرأي" تضامناً مع الصحافي المعتقل أحمد حسن الزعبي



مغني الراب كاي نان متهم بالاعتداء الجنسي في كيبيك



إكس تسعى لاستعادة سوق البرازيل بالامتثال لقرارات قضائية

